جماعة الديوان والرومانسية

دكتـــور / محمـد حســين عــلى

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقـــد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهـــر بسوهاج

جمـــاعة الديـــوان والرومانســية

نشـــأتها :

نشـأت مدرسـة "الديوان إثـر صـلات شخصية وفـكرية قـامت بين أفـراد هـذه المدرسة وهـم : عبـاس محمود العقـاد و عبد الرحمن شـكرى ، إبراهيـم عبد القـادر المـازنى .. فقـد تعـارف عبد الرحمن شـكرى وإبراهيـم المـازنى فى مطلع عـام ١٩٠٦ م حيـن كـانا يدرسان فى مدرسة المعلمين العليـا ، واستمرت هـذه الصلات بعـد رحيـل شـكرى الى انجلتـرا ، وفى هـذه الأثنـاء تخرج المـازنى فى دار المعلين وباشـر العمـل بالصحافة ، فالتقى من خلالهـا بالعقـاد الذى دأب على نشـر المقالات الأدبيـة التى كـانت أعجبت الأدبـاء والشعراء وعلى رأسهم المـازنى .

أمـا عـلاقة شـكرى بالعقـاد فـيرجع الفضـل فى تعارفهما الى المـازنى نفسـه الذى تحـدث لصديقه شـكرى عن العقـاد ومكانتـه الأدبيـة ونشاطاته الفكرية ، ممـا دفـع عبد الرحمـن شـكرى الى ترجمـة هـذا الاعجـاب برسـالة خطيـة للعقـاد . يرسلها لـه من انجلترا دون سـابق معـرفة ، ويتـم اللقـاء الشخصى بينهمـا فى صـيف عـام ١٩١٣ م .

وهـكذا تمـت اللقـاءات وتـم التوحـد الفـكرى بيـن

الأدبـــاء الثلاثـــة ، وتمكنت هـــذه الجماعة من الاسهام الواضـــح فى دفـــع عجـــلة الأدب الحـــديث نحـــو التطـــوير والتجـــديد وأن تتـــرك آثـــاراً نقـــدية جـــديدة مازالت تفتـــح آفاقـــاً جـــديدة الشعراء والنقـــاد على الســـواء .

أثـــر الرومانسية الغربية فى جمـــاعة الديـــوان :

يذكـــر لنـــا العقـــاد ـــ أنـــه هـــو والمـــازنى وشـــكرى ومن نحـــا نحوهم فى مذهبهـــم الجديد قـــد تأثروا بالأدب الانجليزى ، وأن هـــازلت هـــو امـــام مدرستهم هـــذه فى النقـــد (١) .

وكـــان ثلاثتهم قـــد حـــذق الانجليزية وآدابهـــا ، غشـــكرى والمـــازنى درســـا هـــذه اللغـــة منـــذ كـــانا طـــالبين فى مدرســـة المعلمين ، وتعمقت دراستهما لهـــا بعـــد التخـــرج ، وبعـــد ســـفر شـــكرى الى انجلتـــرا لمتابعة الدراســـة ، أمـــا العقـــاد فقـــد درسها بنفســـه وبلـــغ فيهـــا حـــدا لفـــت اليـــه الأنظـــار ، ومن البدهى أن تتـــرك هـــذه الثقـــافة تأثيرها الواضـــح على الاتجاهات الشعرية والنقـــدية عند أفـــراد هـــذه المدرســـة وأن تدفعهـــم بأثر الرومانسية الغربية فيهـــم ، وأن هـــذه الرومانسية هى التى فتحت

---

(١) ص ١٥٥ : نشأة النقـــد الأدبى الحديث فى مصـــر ، عـــز الدين الأميـــن .

أمامهم المعنى الجديد للشعر : فهو يؤكد أن « هازلت هو امام مدرستهم كلها فى النقد لأنه هو الذى هداها الى معانى الشعر والفنون وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد ، وهم يعجبون أيضا بسائر شعراء انجلترا وأدبائها ونقادها أمثال : ستيوارت ميل ، وستيلى ، وبايرون ، ووردرورث وغيرهم ، غير أن العقاد ينفى أن يكون تأثرهم بهؤلاء نابعاً من التقليد الأعمى لهم وانما كان فقط : « مدرسة أوغلت فى القراءة الانجليزية ، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسى ، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين فى أواخر القرن الغابر ، وهى على ايغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الانجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين ، ولعلها استفادت من النقد الانجليزى فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ولا أخطىء إذا قلت أن (هازلت) هو امام هذه المدرسة كلها فى النقد لأنه هو الذى هداها الى معانى الشعر والفنون وأغراض الكتابة وموضع المقارنة والاستشهاد » ثم يقول العقاد : « والواقع أن هذه المدرسة المصرية

---

(٢) ص ١٩٢ وما بعدها : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، العقاد .

ليست مقلدة للأدب الانجليزى ولكنها مستفيدة منه ومهتدية على ضيائه » (٣) .

ويضيف عبد الرحمن شكرى اعترافاً صريحا بتأثره بشاعرى الانجليز المشهورين (بيرون ، وشيلى) فقد تأثر ببيرون لقوة شعره وبشيلى لطموحه الى المثل العليا .

والمازنى مع اطلاعه على الأدبين العربى والغربى ، يذكر أن هناك ديوانين من الشعر بدأ بهما مطالعاته الجدية فى الأدب موجها نفسه هذا التوجيه الذى سار فيه ، وهما ديوان شيللى وديوان الشريف الرضى ، ثم ان من أول من تأثر بهم أيضا فى حياته الأدبية هازلت وبيرون ومارك توين وشكسبير وشعراء البحيرة (وردزورث وكولردج وبراوننج) وأحب الروائيين إليه نخبة من فحول فن الرواية كوالتر سكوت ، وديكنز وغيرهما .

أما العقاد فكان تأثره بهازلت كبيرا وبالغاً ، فلو قرأنا مثلا لهازلت موضوعه « فى الشعر عامة » الذى قدم به لمحاضراته عن الشعراء فى الوصف الحسى والمبالغة والتصوير والشعر الى غير ذلك من آراء هازلت النقدية التى تأثر بها العقاد وزميلاه ، كقول هازلت : « الشعر لغة الخيال والعواطف » و « إذا كان الشعر حكما بشئون

الحيـاة كـذلك » ، والتصـوير يعطى الشـكل نفسـه ، ولـكن الشـعر يعطى ما يـدل عليـه الشـكل » على أن ما تبـع ذلك من نقـد هـازلت لأمثـال تشوسر وسبنسر وملتـن يوضـح لنـا مثـل هـذا الـروح النقـدى ، وهـذا العنف (٣) الذى نجـده فى نقـد العقـاد وكـان أكثـر إبداع هـازلت هـو عندما يعمـد الى نقـد شـاعر (٤) معيـن أو مؤلف خـاص أو قطعـة أدبيـة بالذات ، والعقـاد يلتقى معـه فى ذلك أيضـا ويشبهه كـذلك فى تلك الخصـوبة النقـدية العظيمـة التى امتلكهـا هـازلت فأنتجت تراثـاً ضـخما قـوياً .

ولكن هنـاك فرقـا عظيمـا بين العقـاد وهـازلت ، إذ أن أولهمـا رغـم أنـه لـم يواصـل دراسته الرسمية بعـد الشهادة الابتدائية التى حصـل عليهـا من أسوان إلا أنـه كـون (٥) نفسه بعبقريته ، فهـو يعتمـد على القـراءة الواسعة والثقافة الغـزيرة والحيـاة المضنية بين أكـداس الكتب ، وأمـا هـازلت فقليـل الاطـلاع ، ضـيق دائـرة الأفـكار والمعـارف ، مع جهـله لكثير من الانتـاج الأدبى المهـم منهـا ، ولكن الذى يميـزه حقـاً هـو

---

(٣)

(٤)

(٥)

استغلاله العقلى والمنطقى لما لديه من معلومات ، كما يميزه صفاء ذوقه الأدبى وسعة خياله وارهاف حسه الفنى ، وشدة يقظته لأسرار الجمال ، وهذا ما جعله من كبار نقاد الأدب فى العالم •

والعقاد فى دعوته اتصوير (٦) الطبيعة فى الأدب متأثر أيضا بهازلت فى تشبع روحه بالرومانتيكية ، كما هو متأثر به فى الدقة والعناية بالتحليل النفسى ، وفى جرأته وصحة عزمه فى المجال الأدبى ، وهو متشائم (٧) لحد ما كتشاؤم هازلت وهاردى ، وأما اهتمامه بالإنسان فإنما هو متأثر بمذهب وردزورث فى ذلك •

المذهب الرومانسى فى الغرب وأهم أصوله :

(الرومانتيكى ـ الابتداعى)

« نبذة عن النشأة وأهم أصول المذهب »

بدأت الرومانسية فى فرنسا مع كتابات جان جاك روسو (١٧٢٢ ـ ١٧٧٨) وفولتير ، والتى أذاعا فيها أفكارا متمردة كان لها أثرها العميق فى التحول السياسى والاجتماعى الذى صحب الثورة الفرنسية ، الى جانب ما أحدثته هذه الأفكار

---

(٦)
(٧)

من ثـورة عـلى القـديم واستحداث أدب جـديد (٨) لا يؤمـن بالقواعـد ، فرفضوا ما دعـا إليـه الكلاسيكيون من بسـط سلطان العقـل والاحتفاء بـه ، وجعلوا ولاءهـم (٩) للخيـال والعاطفة ، وتركـوا البطولات (١٠) وعـدم الاعتداد والغيبيات واستلهموا (١١) الطبيعـة ، وصـار الحـظ عنصـرا أساسياً فى حياتهم التى هـى بؤس وشـقاء فى أغـلب الأحيـان ، فجعـلوا ينعـون حظوظهم وأقدارهـم ، وأطلقـوا (١٢) لعواطفهم العنـان ، حتى تتخـطى حواجـز العقـل ، لأن العقـل مهمـا بلغت قـوته يعجـز عـن ارتيـاد المنـاطق التى ينفـذ إليهـا القـلب ، وتحـلق فيهـا المشـاعر والعـواطف الإنسانية ، ولـذا دعـا الشـاعر (ألفريد دى موسـيه) الأدبـاء الفرنسيين ويهيب بهـم أن « يستوحوا فى انتـاجهم القـلوب ، فـان فيهـا الموهبـة والرحمـة والعـذاب والحـب ، فمن القـلب تتدفق أغـانى الحيـاة حين تمسها عصـا مـوسى (١٣) .

واتخـذ الرومانسيون جمهورهم (١٤) من الطبقة الوسطى التى

---

(٨) ص ٢٣١ : مذاهب النقـد وقضـاياه ، عبد الرحمن عثمـان .
(٩)
(١٠)
(١١)
(١٢)
(١٣)
(١٤)

تطلعت الى كتاباتهم لمعالجتها قضاياهم ووجـدوا فى هـذا الجمهـور قـراء يمكنهـم الاعتمـاد عليـه والاكتفـاء بـه بدلا من الاعتماد على الطبقـات الأرستقراطية جمهـور الكلاسيكيين •

بـدأت هـذه النزعـة التحـررية فى الأدب فى انجلتـرا أولا ثـم ألمـانيا وفرنسـا ثـم أسبانيا وايطاليـا ، وتجـلى فى أدب الرومانسيين نتيجـة الفلسفة العاطفية والتعبـير عن مطالب الطبقة الوسـطى والاعتـداد بالفـرد وحقـوقه تجـاه المجتمع ، فكانت موضوعات المسرحيات والقصص والأشـعار الغنائية ذات طابـع شـعبى ، وكانت شخصياتها من سـواد الشـعب • أو من الشعوب البدائية ذات الفضـائل الفطـرية •

تتلخص دعـوة هـذه المدرسـة :

١ ــ فى حـرية الفـن فيـلوذ الشـاعر بالشـعر النـابع من العاطفة المعـن فى الأحـلام والخيـالات والـرؤى وحـب الطبيعـة ، وجـددوا شـبابه باللـون الغنـائى الوجدانى النفسى العميـق •

٢ ــ تغنـوا بأشعارهم مترجمين عن ذواتهـم معبـرين عـن أنفسهم من خـلال الطبيعة التى هـاموا بهـا هيـاماً شـديداً •

٣ ــ أن يستمد الفنـان نتـاجه الفنى من منـاظر الطبيعـة :

الأشجار والأنهار والأطيار وخلط مشاعرهم بمناظرها ، ويكثرون تشخيصها ، مع تفاعل أحاسيسهم مع كل صور الحياة وما وسعتها من أشكال الحيوان والجماد والنبات .

٤ — الأصالة فى الصور بحيث يصدر الشاعر عن ذات نفسه فى موقفه لا الى ما حفظ فى ذاكرته من صور ، وهذه الصور يولدها الخيال القادر على نقل التجربة من خلال تلك الصورة المجسمة للمشاعر والأفكار .

٥ — « عضوية » الصورة الشعرية بمعنى أن تصبح كل صورة بمثابة عضو حى فى بنية التجربة الشعرية الفنية ، وبذا تكون القصيدة الغنائية عضوية أى ذات بنية حية ، تنمو بها من داخلها فى اتساق تام نحو نهايتها ، وهذه خاصة الشعر ، وبه يمتاز عن الفنون التجسيمية من نحت وتصوير ، وأول من قرر هذه الخاصة « لسنج » الألمانى (١٧٢٩ — ١٧٨١) فى كتابه : « لاوكون » الذى صدر عام ١٧٦٦ ، وهو من دعاة الرومانسية فى ألمانيا .

٦ — الاعتداد بالعبقرية كصاحبة الكلمة الوحيدة فى مجال الأدب وليست القواعد وهو من الأصول التى أضافها (هوجو) الى خصائص الرومانتيكية التى ارتادت خارج فرنسا كل موقع ووضع هوجو أصول هذه النزعة فى أعماله مثل مسرحية

(كروموبل ، والشرقيات ، وأوراق الخـريف) (١٥) .

أصـــول الرومانســية :

١ — الحــرية مكفولة للأديب ، فليست هنــاك نماذج تحتذى ، وإنمــا موهبــة تستخدم فى كــل مجــال لأن « الفــن — حســب رأيهــم — لا يعترف بالقيــود والأغلال ولا يرضى بالحــد من حرية القول ، ولا يؤمن بالمعــالم التى تحدد لــه طريقــه ، بــل الفــن : أن يعتقــد الفنــان كمــا يحب أن يعتقــد ، وأن يفعــل ما يريــد أن يفعــل فهــو الذى يختــار النــوع والقصة والزمان والمذهب .

٢ — الدعــوة الى أدب جــديد يعــلى من كــرامة الطبقــة الوسطى ، ويــرد إليهــا ثقتهــا وعــدالة المجتمع ورحمته والمناداة بعــدالة اجتماعية لتعــالج الأمراض المنتشــرة من جــراء صــنع القوانين الجــائرة .

٣ — الجنــوح الى الخيــال والتصرف فى حقــائق التاريخ ، وتصــوير مســتقبل أفضــل للشعوب ، وإبــراز تاريــخ وطــنى جليــــل .

٤ — عــدم التقيــد بقواعــد المسرحية الكلاسيكية ، فحطموا وحــدة الزمــان والمــكان وخلطــوا المأســاة والملهــاة ، وصارت الشخصيات شــعبية ، وتوجهــوا الى انســان الشــارع يستلهمون

---

(١٥) ص ٢١٦ : فى الادب المقــارن . زهــران .

من حيـاته ومشاكله نتاجهم ، والعـودة الى لغـة العـامة وصياغة الأدب بهـا ، ممـا دعـا الى ظهـور « الميلودراما » كـلون مـن المسرحيات يوافق ثقـافة الشعب الضـحلة ، وهـو مزيـج مـن الغنـاء والمنـاظر المفزعـة التى تثـير مشـاعر الجماهير ، التى لم تعـد تحفـل بتماسك الأحـداث وسيرها الرتيب •

٥ ــ التعبـير عن الوجـدان الذاتى والشعور الفردى واحترام الخطـرات النفسـية والتأملات الشخصية عن الـكون وما فيـه من الحيـاة والمـوت والسـعادة والهـروب من أثقـال الواقـع الاجتمـاعى الى المـاضى أو الى المستقبل •

٦ ــ الهيـام بالطبيعـة والاندماج فيهـا والخـلو اليهـا واستحياؤها من خـلال الذات والتفلت من قيـود التقاليد والمجتمع والانطـلاق مع الأحـلام والـرؤى والخيـال والإيمـان بصـورة الانسـان الفطـرى •

وقـد تولى تطبيق أصـول هـذا المذهب اعـلام من الغـرب مثـل : جـون كيتس ، وشـل ، وبـيرون ، وكارليـل ، وتوماس جـراى ، ووليـم بليـك فى انجلترا ، وجـوته وشـيلر فى ألمانيا ، ولامرتين وهوجـو فى فرنسـا ، ومنزونى وبلـكو فى ايطاليـا ••• وغيرهـم (١٦) •

---

(١٦) ص ٤٨ : المذاهب النقـدية . السعدى فرهـود .

مظاهـــر تأثـــر مدرســـة الديـــوان بالرومانسية

أول مظهر يطالعنـــا فى هـــذا المجـــال : مهاجمة جماعة الديوان شـــعراء عصرهم الكبـــار أمثـــال شـــوقى وحـــافظ وغيرهما باعتبار أشعارهم ضـــربا من التقليد والاحتـــذاء الذى لا غنـــاء فيـــه ، فقد ثـــار أفـــراد هـــذه الجمـــاعة على جيـــل شـــوقى وحـــافظ الذى لـــم يأخـــذ بأسباب التجـــديد فى الشـــعر كمـــا عرفهـــا الغربيون ، فظـــل شـــعرهم مقيـــدا بأغـــلال المـــاضى فى الفـــكر والأســـلوب والموضوعات • « وقـــد اختص العقـــاد بنقـــد شـــوقى والرافعى ، فى حين اختص المـــازنى بنـــد المنفلوطى وعبد الرحمن شكر » (١٧) •

والمظهـــر الثـــانى للتـــأثر الواضـــح بشعراء الرومانسية عند أفـــراد مدرســـة الديـــوان يتمثـــل فى تحـــديد جوهـــر الشـــعر ، فـــيرى الرومانسيون أن الشـــعر انعكاس لمـــا فى النفس من مشاعر وأحاسيس ، وأنـــه يصـــدر عن « الطبـــع » الذى لا تكلف فيـــه • يقول النـــاقد الانجليزى وردزورث : « إن الشـــعر انسياب تلقائى للمشـــاعر القـــوية ، انـــه يصـــدر عن العواطف التى تستعاد فى حـــالة سكنية ، وهنـــاك يتـــم نـــوع من التـــأمل فى هـــذه المشاعر التى تختص فيـــه تلك السكينة بالتدرج وتحـــل مكانهـــا عاطفة قريبة

---

(١٧) ص ١٦٦ : نشـــأة النقـــد الحـــديث فى مصـــر . عـــز الدين الأميـــن •

من تلك العـواطف الأولى التى كانت موجـودة قبـلَ عملية التـأمل هـذه حيث تحتـل العاطفة الأخـيرة الذهـن بالفعـل ، وفى مثـل تلك الحـالة تبـدأ كتـابة الشـعر العظيـم عـادة » • ورأى جمـاعة الديـوان فى هـذه القضـية يطـابق رأى ذلك النـاقد الانجليزى بخاصـة ، فى تحـديد مراحـل العملية الشعرية ، فيقرر عبد الرحمـن شـكرى أن « انفعـالا عصـبياً » يسـبق عمليـة النظـم ثـم يتبـع هـذه الحـالة تدفـق وانسـياب للمعـانى والألفـاظ يأتى الشـعر من خلالها سـائغا عـذباً صـادرا عـن الطبـع السـليم فى التعبـير ، وفى ذلك يقـول : « ومن أجـل ذلك لا ينظـم الشـاعر الا فى نوبـات انفعـال عصـبى ، وفى أثنائهـا تغـلى أساليب الشـعر فى ذهنـه وتتضـارب العواطف قلبـه ••• ثـم تتدفق الأسـاليب الشعرية كالسـيل من غـير تعـد لبعضها دون بعض أمـا فى غـير هـذه النوبات فالشـعر الذى يصـنعه فـاتر العاطفـة قليـل الطـلاوة والتـأثير » (١٨) • وواضـح اجتمـاع الرأيين عند الرومانسية وجمـاعة الديـوان عـلى أن « الطـبع » أسـاس فى العملية الشـعرية •

المظهـر الثـالث اتـأثر جمـاعة الديوان بالرومانسية الغربية فى تحـديد وظيفـة الشـعر وأهـدافه فالمعـروف أن للشـعر

---

(١٨) ٤/٢١٠ : ديـوان عبد الرحمن شكرى . تحقيق نقولا يوسف •

غـايات وأهـداف عـديدة عند الرومانسيين وغيرهـم . وإذا كان ثمـة روابـط مشتركة بين الكلاسيكية والرومانسية فهى فى هـذا الإطـار ، فـيرى الرومانسيون أن من أهـداف الشـعر الكشف عن مظاهـر الجمال فى الوجـود الإنسانى ، بـل من أهـدافه (الكشف عن الحقيقـة فى أعمـق صورها وأتمهـا) (١٩) ، بجـانب توفـير المتعـة للقارىء التى يحسها من معـانى الشـعر وصوره . وتحدد الرومانسية أيضـا وظيفـة الشـعر فى الكشف عن الحقائق الطبيعية التى يقـوم عليهـا نظـام الحيـاة الإنسانية ، ولـم يبعد جماعة الديوان عن تحـديد هـذا الهـدف للشعر ، فقـد رأى عبد الرحمن شـكرى أن : « وظيفـة الشـاعر فى الإبانـة عن الصـلات التى تربـط أعضـاء الوجـود ومظاهـره ، والشعر يرجـع الى طبيعة التأليف بين الحقـائق ، ومن أجـل ذلك ينبغى أن يكون الشـاعر بعيـد النظـر ، فيميـز بين معـانى الحيـاة التى تعرفها العـامة وأهـل الغفلة وبين معـانى الحياة التى يوحى بهـا الأبـد » (٢٠).

والواضح أن عبد الرحمن شـكرى يلتقى فى هـذا التجديد مع الشـاعر والنـاقد الانجليزى (شـيللى) حيـن ميـز بين قـدرة النـاس العاديين وبين قـدرة الشعراء على إدراك حقـائق الأشياء

---

(١٩) ص ١١٧ : فى نقـد الشـعر . محمـود الربيعى .

(٢٠) ٤/٢٨٧ : مقـدمة ديوان عبد الرحمن شـكرى .

ومعـانى الحيـاة وذلك حين قـال : « مع أن النـاس يرون نفس الأشـياء فإنهـم لا يتفقـون فى ملاحظة نظـام واحـد فى حركات الرقص وفى لحن الأغنيـة ، وفى نسـيج اللغـة وفى سلسلة التقليد التى يقومون بهـا للأشياء الطبيعيـة ذلك لأن هنـاك نظـاماً معينا وإيقـاعاً لهـذه الألفـاظ » (٢١) •

وتتحـدد وظيفـة الشـعر بواقعية ووضوح شديدين عند كـل من المـازنى والعقـاد ، غـيرى المـازنى أن للشعر غـايات معينـة تؤدى فى النهـاية الى خـدمة الإنسـان ، وتكشف لـه حقـائق الوجـود الذى يعيش فيـه ، ولا فـرق عنـده أن تكـون هـذه الغـايات مبـاشرة تمـاماً فى الشعر ، أو يتلقاها الانسان عن طريق آخـر ، ففى ذلك يقـول المـازنى : « من أجـل ذلك كـان سـواء على المـرء أن تؤثـر فيـه الحقيقة الواقعية بالذات ، أو يأتى التأثر مـن طـرف آخـر كالصـور والرمـوز التى تمثـل صـفات الحقيقـة» (٢٢) •

أمـا العقـاد فيؤكد على أهميـة الشـعر ووظيفته فى هـذا العصـر بالذات وأن يعتنى هـذا الشـعر بتحقيق أهـدافه ، كمـا اعتنى بهـا فى العصـور السـابقة ويعـلن العقـاد صراحـة عن

(٢١) ص ١١٧ ، ١١٨ : فى نقـد الشـعر . محمـود الربيعى .
(٢٢) ص ٤١ : الشـعر غـاياته ووسـائطه • المـازنى •

مـدى تأثـير الشـعر على نفوس النـاس الذين بهرتهم المخترعات الحديثـة حتى كـادت تطغى على مشاعرهم فتخضـعها للمقاييس المـادية المحضـة فيقـول : « إن الشـعر لازم فى عامنـا هـذا كمـا كـان لازمـاً فيمـا سلف من ألـوف السنين ومئات العصور، لا ينقص من لزومـه شـيوع الصـاروخ كمـا قيـل ، بـل هـو ألـزم ما يكـون حيـن تشـيع الصواريخ وتشـيع معهـا أخواتها من صفائح الحـديد والخشـب وآلات النـار والكهرباء » (٢٣) ، بهـذا يوضـح العقـاد أهميـة الشـعر وعلاقته بالانسان ، وينفى الزعـم المفضى الى عـدم ضرورة الشـعر فى العصـر الحـاضر . عصـر تقـدم العـلوم والصناعات ، وعصـر اختـراع الصواريخ فتلك طفـرة صناعية أصابها الانسـان ، وليس لهـا علاقة بالشعر « إذ كـان النـاس لـم ينظمـوا الشـعر لأنهـم بحثـوا عـن الصاروخ فـلم يجـدوه ، وانمـا نظموه لأنهـم يحسون وينطقون ، ولأنهـم يترقون مع الزمـن فيزداد النطـق عندهم بالجمال ويحسن الانسان من التعبـير الجميـل ما لـم يحسـنه الحيوان ويستطيع من النظـم ما ليس يستطيعه الطـير بالتغـريد » (٢٤) .

ويبـدو من كـلام العقـاد أن الإحساس بالجمـال أساس فى

---

(٢٣) ص ١٩٧ ، ١٩٨ : كلمـة القاهـا العقـاد فى المهرجان الخامس للشعر الذى عقـد بالقاهـرة عـام ١٩٦٤ م .

(٢٤) .....

النظـم ، ويليـه الاحساس بقيمـة الحيـاة وحقائقها ، وهـذا ما أكـدته الرومانسية الغربية فى مذهبهـا النقـدى والشعرى •

وممـا اسـبق نلاحظ التشـابه الكبـير بـل التوافق بين آراء الثلاثـة فى النقـد ، ولا عجب فى ذلك إذ كـان الثلاثة يتدارسون كتب الأدب الغـربى ، ويتناقشون حولهـا ، ويصلون الى ما يجب أن يسـيروا عليـه فى النقـد ، وما ينبغى أن يشـيعوه فى الأدب العـربى ؛ وكـانوا يعرضون لأدبـاء العربية فينقدونهم على ضـوء هـذه الأسس الغربيـة ، وفى ذلك يقـول العقـاد : « فمن عجيب التوفيق أن يكـون شـكرى من الاسكندرية ، وأن يكـون المـازنى من القاهـرة ، وأن أكـون أنـا من أسـوان ثـم نلتقى على قـدر واتفـاق فيمـا قرأناه وفيمـا نحب أن نقـرأه ، مع اختـلاف فى حـواشى الموضوعات ، من غـير اختـلاف على جوهرها ، وكـل ما هنـالك زيـادة عند بعضنا فى ايثـار القصـة ، أو زيـادة فى ايثـار الشـعر ، أو زيـادة فى ايثـار الفكريات والتأملات ، وقـد يتغـير الدور والترتيب أحيـاناً فى هـذه الزيادات »(٢٥) •

وهـكذا يوشـك العقـاد والمـازنى أن يكونا شخصية واحدة فى النقـد إذ اتخـذا النقـد وسـيلة لدعوتهما الجـديدة فى الشعر

---

(٢٥) ص ١٤٢ : بعـد الأعاصير . العقـاد •

والنقـد بينمـا شـكرى (٢٦) اتخـذ الشـعر المجـدد وسـيلة الى الدعـوة الى المذهب الجـديد إلا فيمـا نـدر فيتخـذ النقـد القليـل الذى صـدر عنـه وسيلة هـذه الدعـوة كمقدمته لديوانه الخـامس والتى اشتملت عى نقـده للمـازنى وعلى بعض آرائـه النقـدية •

أهـم المؤلفـات التى تضمنت آراء العقـاد النقـدية :

١ ــ « خلاصـة اليومية » نشـره سـنة ١٩١٢ م • وتحـدث فى هـذه الخلاصة عن بعض الموضوعات النقدية ، كالتشبيه الشعرى ، والشـعر والألفـاظ ، والجمـال والجـلال ، والكاتب والشـاعر الى غـير ذلك من الموضوعات التى تناولهـا • ومن أهمهـا :

١ ــ نظرته الشاملة اظواهـر الكون جميعها ، وهـذه النظرة الشاملة كانت من أهـم المقاييس التى يقيس بهـا الفنون والآداب ، ومن هنـا دعـا الى وحـدة القصـيدة سـنة ١٩٠٨ م على أنهـا بنيـة حيـة متماسكة ينبغى أن ينظـر إليهـا ككـل لا مجـزأة بيتـاً بيتـاً •

٢ ــ رأيـه فى المبالغة على أنهـا عـلامة من علامات انحطـاط الفـكر فهى خليقـة بأن تقـل إذا ما نشـرت المعـرفة ، وعنيت

---

(٢٦) ولـد سـنة ١٨٨٦ بمدينـة بور سعيد وتوفى سـنة ١٩٥٥ بمدينـة الاسكندرية .

الأمــة بالوقــوف عــلى الحقــائق والاهتمــام بالجواهــر دون الأعــراض •

٣ ــ حــدد المقصــود بالجمــل والجــلال (الجليــل) بــأن الجميــل كــل ما جبــت الحيــاة الى النفس وأبــدى منهــا الرجاء فيهــا • وبعــث على الاغتبــاط بهــا ، كالربيع والصباح والشباب والمنــاظر الرائعــة ، وأمــا الجليل فهــو كــل ما حــرك فيهــا الوحشــة وحجب عنهــا رونق الحيــاة كالشتاء والليــل والهــرم والقفــار المخيفــة •

٤ ــ الكلمــة الواحــدة تختلف معانيها باختلاف قائليها فيؤيه لهــا من قــائل ولا يلتفت بهــا من قــائل آخــر لأن الكــلام جــزء من نفس صاحبه فوجب أن نفهــم هــذه النفس أولا ليفهــم كلامها بعــد ذلك •

٥ ــ عــاب الطريقة الانشائية التى كــانت شائعة بين الكتــاب فى هــذه الفتــرة لعنايتها بالتنميق اللفظى ، تــم حمدها لأنهــا تدعــو صاحبها الى تغــزير مــادته اللفظية •

٦ ــ عــاب على شــوقى الغــلو والتقليد المخــطىء ، وأنــه لا يصــدر فى شــعره عن شــعور صــادق •

٧ ــ الكــاتب من تنجــلى روحــه واضحة فى كتابته ، ويتميز

معهـا نهجـه ومذهبـه وتفكـيره الخـاص ، وأمـا الشاعر فهـو ليس الذى يزن التفاعيل ، أو يصـوغ الكـلام الفخـم واللفـظ الجـزل ، أو يأتى بالمجازات الرائعـة والتصويرات البعيدة فحسب ، وإنمـا هـو من يشـعر ويشـعر ، فمـا الشـعر الا التعبـير الجميـل عن الشـعور الصـادق •

٢ ــ المقـدمة التى كتبهـا تقدمة للجـزء الثـانى من ديوان شكرى سـنة ١٩١٣ : واشتملت عـلى :

١ ــ مـزايا الشـعر المختلفة : ومنهـا التسلية والترفيه ، تهـذيب الأخـلاق ، تلطيف الشـعور •

٢ ــ الـرد على خصـوم جمـاعة الديـوان الذين اتهموهم باعتمـادهم الأسلوب الأفرنجى الذى لا يشـبه أساليب العـرب ، ورد عليهـم بأن المسـألة ليست مسـألة أسلوب ، وإنمـا هى ترجع الى جوهـر الطبـائع والمـزاج بين الأمين ، والى الفـروق بين الأدب الآرهى والأدب السـامى اللذين يختلفـان فى البيئـة •

٣ ــ المقـدمة التى قـدم بهـا الجـزء الأول من ديـوان المـازنى الذى أخـرجه سـنة ١٩١٤ م وفيهـا :

١ ــ عـاب على الشعراء التقليد فى الشـعر ورماهـم أنهـم يعيشـون بأفكارهم ونفوسهم وخواطرهم فى غـير عصرهم ، والشعر

المطبوع هو الصادق المؤثر كشعر المازنى الذى يترجم عن زمنه ويتآلف فيه طبع صاحبه وقلمه •

٢ ــ الدعوة الى التجديد فى الأوزان والقوافى لتسع كل أغراض الشعر لاسيما الأقاصيص المطولة كما هى الحال فى الشعر الغربى •

٤ ــ « ساعات بين الكتب » سنة ١٩١٤ ، كما أصدر جزأين بالاسم نفسه سنة ١٩٢٧ ، وفيه من الآراء النقدية :

١ ــ يجب أن يتميز شعر الشاعر على نثره فى عذوبة اللفظ وصفاء العبارة ، وأما أن تساويا فى ذلك كما هى الحال عند ابن زيدون فغير الشعر به أولى •

٢ ــ ليست الرقة هى الصفة الأولى للشعر كما يتوهم وليست هى ميزته على غيره من فنون الأدب ، لا ولا ينبغى أن يفرط فيها الشعر الغزلى ، ويبعد عن الخشونة كما يحسبون ، بل ينبغى أن توضع الرقة موضعها الملائم لها من الشعر ، وألا يكون شرطا من شروطه ، والا فقد تؤدى الى الشعر المرذول •

٣ ــ الشعر الصادق يعبر عن كل نفس ، وهو بذلك يعبر عن المجتمع بأسره ويؤثر فيه ، ولذا نعده شعرا اجتماعيا ، وإن لم يدون حادثا قوميا أو نحوه •

٥ — مقال نشره فى المؤيد سنة ١٩١٤ عن جمال الطبيعة وفيه :

يلجأ الى تفسير الشعر وتعليله على ضوء الدراسات النفسية وعلم وظائف الأعضاء ، كما درس ابن الرومى من خلال شعره ، وفسر شعر بشار على ضوء الأسس النفسية والجسمية ، ويحدد من خلال هذا التفسير مذهب الشاعر فى الشعر وفى الحياة .

٦ — مراجعات فى الآداب والفنون سنة ١٩١٦ :

كتب فيه داعيا الى دراسة مزاج الأديب مع دراسة تأثير البيئة والحوادث فيه ، حتى يستطيع المرء أن يحكم على فلسفة الشاعر ، وبذا نرى العقاد يأخذ فى منهجه بدراسة البيئة والعصر والشخصية .

٧ — مقدمات دواوينه : الديوان الأول « يقظة الصباح » ١٩١٦ م :

وفيها يرى أن الأدب يجب أن يكون ذا غاية نفعية بالاضافة الى غايته الفنية ولكن الغاية النفعية تأتى نتيجة طبيعية ولا يطلبها المرء لذاتها .

٨ — وفى مقدمة الديوان الثانى « وهج الظهيرة » ١٩١٧ م :

وفيها يرى أن المنافع المادية ليست غاية الحياة

القصـــوى ، وليست كـــذلك الشعراء ولكنهـــم إذا حفـــلوا بهـــا ، فلأنهـــا عنصـــر الشـــعر وينبـــوعه ولأن لهـــا أثـــرا تحسه قلوبهم لا أعضاؤهم ، ولأنـــم بعـــد ذلك يبلغون بهـــا ما يحقق ميولهـــم ورغبـــاتهم النفســـية ، ويغـــذى فيهـــم العاطفة البشرية .

٩ ــ الديـــوان ١٩٢٠ الجـــزء الأول ، والثـــانى فى ١٩٢١ م :

ألفـــه كـــل من العقـــاد والمـــازنى ، بعـــد أن تعرض لهمـــا كتاب الصحف بالهجوم والنيـــل منهمـــا والحط من شأنهما وتغييرهما بالتقصـــير عن قـــدر شـــوقى الذى أشـــادت بـــه الصحف بعـــد عـــودته من منفـــاه ســـنة ١٩١٩ ، فوضعا هـــذا الكتـــاب وتنـــاولا فيـــه شـــوقى وغـــيره بالنقـــد والتجريح ، ولعـــل الديوان يعتبر بحـــق ذا الأثـــر الفعـــال فى التفـــات النـــاس الى ذلك المذهـــب الجـــديد الذى أوضحاه بأنـــه مذهب (انســـانى مصرى عـــربى) ، وفى الديـــوان يـــرى العقـــاد :

١ ــ أن يكون الأسلوب خاليـــا من الركاكة والتعثر فى الصياغة ، بعيـــدا عن أسلوب العهـــد المـــاضى الذى يقـــدر فيـــه الكـــاتب أو الشـــاعر بالجمـــلة المستوية النســـق أو البيت الســـائغ الجرمى ، أو بمقـــدرة الشـــاعر على الكـــلام النحـــوى الحـــلو ، وهـــو يرى أن شـــعر شـــوقى صـــورة فى جملته لهـــذه الركـــاكة والضـــعف الأســـلوبى .

٢ ــ يجب ألا تكــون الحكمــة والفلسفة فى الأدب تافهة كحكمة العــامة وفلسفتهم بــل تكــون حكمــة صادقة توحى بالحقــائق من أعمــاق الطبيعة ، وتريك كيف يتقابل العمق والبساطة ، ويتآلف القــدم والجــدة ، تــدم الحقيقة كأثبت ما تجلوهــا الحيــاة المتقلبــة وجــدة النظــر الثــاقب ، والنفس الحيــة التى تطبــع كــل مــرئى بطابعهــا ، وأمــا غــير ذلك فهى حكمــة مبتذلة أو مغشوشة معتمــلة .

ومن أمثــلة الحكمــة التافهة عند العقــاد قــول شــوقى :

كــل حــى عــلى المنيــة غــاد
تتــوالى الركاب والمــوت حــاد
ذهــب الأولــون قــرنا فقــرنا
لــم يــدم حاضر ولــم يبق بــاد
هــل ترى منهــم وتسمع عنهــم
غــير بــاقى مآثــر وأيــادى

فقــال : إن مثــل ذلك ممــا يؤثــر عن المكدين والشحاذين حيــن ينــادون ليستدروا العطف عليهــم : « دنيــا غــرور ، كله فــان ، الذى عند الله بــاق » .

٣ ــ يطلب العقــاد الى الشــاعر ألا يلجــأ للوصف الحسى

بـل عليـه أن يعبـر عن أثـر هـذا المحسوس فى نفسـه ، ولذا انتقـد قـول شـوقى :

تلك حمـراء فى السـماء وهـذا

أعوج الفصل من مراس الجـلاد

لأن الشـاعر من يشـعر بجوهـر الأشـياء لا من يعددهـا ويحـصى أشكالها وألوانهـا ، وأن ليسـت مـزية الشـاعر أن يقـول لك عن الشىء مـاذا يشـبه ، وإنمـا مزيتـه أن يقـول : ماهـو ويكشف لك عن لبـابه ، وصـلة الحيـاة بـه ... الـخ .

٤ ــ يعيب العقـاد فى كتـاب الديوان السرقـة لاسيما الخطأ فيهـا أو اتيـان اللاحـق بالبهـرج حيـن يأتى السابق بالذهب .

٥ ــ كـذلك يعيب العقـاد فسـاد الذوق ، كـأن يريد الشاعر المـدح فيهجو عن غـير قصـد ، أو يريـد البكاء فيهزل ويضحك ، ويـرى ذلك متمثـلا فى مرثيـة شـوقى لعثمـان غـالب وقـوله فيـه :

ضـجت لمصـرع غـالب

فى الأرض مملـكة النبـات

فنقـده لأنـه جعـل النبـات يفتقـده لأنـه من علمـاء الطبيعـة ، ونـرى أن شـوقى قـد ضحى فى سـبيل ذلك بالذوق

السليم والوصف الصادق والتخيل الصحيح والشعر الجدى والشعور القوى •

٦ ــ يعيب أيضا التفكك الذى يجعل القصيدة مجموعة من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية فلا يخل بمعناها أو بموضوعها أن ينقل أحد أبياتها الى غير مكانه من القصيدة أو الى قصيدة أخرى تماثلها فى الوزن والقافية ويقول إن مرثية شوقى لمصطفى كامل (م ١٩٠٨) •

المشرقان عليك ينتحبان

قاصيهما فى مأتم والدانى

يقول إنها من تفككها ليست الا كومة تراب أو رمل لا يغير منها ان تجعل عاليها سافلها أو وسطها قمتها ، ثم يقول : ولكن « القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها » (٢٧) . وفى مقال العقاد اشارة واضحة الى وحدة القصيدة العضوية •

---

(٢٧) ٢/٤٥ : الديوان . العقاد .

٧ — يعيب العقاد أيضا الإحالة وعقم الفكر ، ويقول أن الاحالة ضروب ، منها : الاعتساف والشطط ، ومنها المبالغة ، ومخالفة الحقائق ، ومنها الخروج بالفكر عن المعقول أو قلة جدواه وخلو مغزاه • ثم يضيف أن الكلام ينبغى أن يدل على معنى معين ، أو وصف يطابق موصوفه ، فلا يكون عاماً يقبل كل تفسير ، ولا يصح أن قيل مثلا فى إنسان بعينه أن ينطبق على كل إنسان •

٨ — كما يعيب التقليد بتكرار المألوف من الألفاظ والمعانى وعنده أيسر التقليد هو اللجوء الى الاقتباس المقيد والسرقة •

٩ — ويعيب الولع بالأعراض دون الجواهر ، وهذا يشبه عنده الإحالة ولكنه يرى التفطن اليه أصعب من التفطن للاحالة ويطبق ذلك على قول شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

١٠ — ويشترط العقاد ألا يكون الشاعر عافيا فى روحه مبتذلا فى ملكته ، كشوقى فى أبياته التى أولها :

لله ريشة صادق من ريشة

ترى طلاوتها بكل جديد

١٠ ــ (الفصــول) صــدر عــام ١٩٢٢ وفيــه نــرى :

١ ــ أن جمــال المعــانى لا يســتمد من الألفــاظ المنمقــة أو الأخيــلة المستعارة المتكلفــة ، ولكن جمالهــا فى ذاتهــا ، وفى أدائهــا لوظيفتها ، وفيمــا تلــزم بــه طبيعتها وهــذا بعض ما عاب بــه العقــاد دكتــور هوجــو ، كمــا عــابه بعــدم اعطائه صورة صــادقة دقيقة لتحليــل شخصياته فى كتــاب (البؤســاء) •

٢ ــ تعــرض للابتذال فى الأسلوب فقــال : إنــه يكــون فى التراكيب لا فى الكلمــات ، وانمــا الذى يجعــل التراكيب مبتذلة هــو تكرارهــا حتى تؤلف ، فــلا يكــون لهــا وقــع فى النفس أو أثــر فى الذهــن ، وكــون الابتذال فى الألفــاظ هــو بعض ما توهمــه حــافظ حيــن ترجــم كتــاب « البؤســاء » وقــد عــابه العقــاد فى هــذه الترجمــة بعــدم الدقــة وضبط العبارة •

٣ ــ فــرق بين أسلوب الشــعر والأسلوب العلمى بأن للشعر أســلوبا غــير أسلوب العــلم لطبيعــة ما يتناوله كــل منهمــا ، وما تقتضيه هــذه الطبيعة من طريقــة خاصــة ، فالأسلوب الأدبى هــو لغــة العاطفــة ، والأسلوب العلمى لغــة العقــل •

١١ ــ مقــدمة الغــربال ســنة ١٩٢٣ وفيهــا :

١ ــ يؤيــد ما جــاء فيــه من دعــوة الى شــعر الحيــاة والــوحى والإلهــام •

٢ — ينعى على الشعراء لجوءهم الى شعر الزحافات والعلل .

٣ — يخالف شعراء المهجر فى أنهم لا يهتمون باللفظ ويأخذ عليهم تساهلهم فى الخطأ فى اللغة إن كان المعنى مفهوما . وشدد على أن اللغة لم تخلق اليوم فتخلق قواعدها وأصولها ولكن يجب الالتزام بها كما وصلتنا ، وانما التطور يكون فى اللغات التى ليس لها ماض أو قواعد وأصول ، ومتى وجدت القواعد والأصول ، فلماذا نهملها أو نخالفها الا لضرورة قاسرة لا مناص منها (٢٨) .

١٢ — (مطالعات فى الكتب والحياة) صدر سنة ١٩٢٤ م وجاء فيه :

١ — الأدب الصحيح السامى الذى ينبغى أن يتخذ مقياساً تقاس إليه الآداب هو الأدب الذى تمليه بواعث الحياة القوية ، وتخاطب به الفطرة الانسانية عامة ، أما إن أملته بواعث التسلية والبطالة ، وخاطب الأهواء العارضة فهو أدب غث مرزول مكسوف ينبغى نبذه ومحاربته (٢٩) .

---

(٢٨) ص ٤ : مقدمة الغربال . العقاد .

(٢٩) ص ٤ : مطالعات فى الكتب والحياة . العقاد .

٢ — عمد الى تفسير الشعر بدراسة شخصية الشاعر وبيئته وعصره على نحو ما دعا له فى دراسته للمعرى ، ولكنه هنا درس المتنبى ، فعلل ولعه بالتصغير بأن ذلك راجع لطبعه ، ومجار لنوازعه من طموح ، وما يقف فى سبيل هذا الطموح ، ومن استعظامه لنفسه على الشعر أو على التكسب بالمدائح والزلفى من الملوك والأمراء اى غير ذلك من نوازعه النفسية (٣٠) .

وقد فسر أيضا على هذه الدراسة تشاؤم ابن الرومى فى سلوكه وشعره بأن بعضها نتيجة لقوة ملكة التصوير التى طبع عليها ، فكانت تزحم خياله بشتى المناظر والهيئات الحسن منها والقبيح ، وهذا القبيح هو الذى يقبضها ، وتتوجس منه العاقبة السيئة والطالع المشئوم ، فاذا غلت فى الانقباض أدى بها ذلك الى التطير والتشاؤم .

٣ — ضرب مثلا بالتبنى كشاعر عظيم تتجلى الطبيعة بعناصرها وجمالها وجلالها وعلانيتها وأسرارها فى شعره ، وكشاعر يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة الحياة ومذهب فى حقائقها وفروضها أياً كان هذا المذهب وأياً كانت الغاية الملحوظة

---

(٣٠) ص ١١٩ السابق .

فيــه ، ومن جمــع بين الأمــرين فقــد تفــوق فى الشاعرية ، وفى ذلك كلــه تقــرير للحيــاة ، وتوسيع لجــوانب النفس • وهنــا يقــول أن الفلسفة التى هى غــاية من غــايات الشــعر تلتقى كذلك مع الشــعر فى أنهــا تحتــاج للفــكر والخيــال والعاطفة ، كمــا يحتــاج الى ذلك الشــعر ، وليس هنــاك من اختــلاف بينهمــا إلا فى مقــدار ما يحتــاج اليــه كــل منهمــا •

١٣ — (مراجعات فى الآداب والفنون) صــدر ســنة ١٩٢٥ وجــاء فيــــه :

١ — توخى السهولة فى الأدب تلك السهولة التى تــدل عــلى النبــوغ والمقــدرة والتى يؤدى بهــا الأديب الممتــاز من المعــانى مــالا يستطيع أن يؤديــه غــيره إلا بمشــقة وليس يعنى ذلك أن يكــون الأدب ســهلا لــكل انســان ، أو أن يدرك معانيــه وخوالجه جميــع النــاس ، أو أن يتساووا جميعــا فى التــأثر بهــا •

٢ — الفصــل بين الجمــل خاصــة من خــواص التفــكير ، قبــل أن يكــون خاصــة من خــواص حــروف العطف وصــلات الألفــاظ ، ويستدل على هــذا بأن شواهده كثــيرة فى كــلام العرب وفى كثــير من الكــلام الفصــيح بــل فى القــرآن الكريم ، ثــم يضــيف أن هــذه الخاصــة على ذلك ليســت من خواص الأسلوب الأفــرنجى وحــده كمــا توهــم بعضهم وإن كانت فيــه أكثــر •

٣ ــ تحــدث عن طبيعــة ملــكة التصوير ، وذكــر أنهـــا طبيعــة فى النفس الفنيــة وحــكم لابن الرومى بأنــه أعظـــم شــعراء العــرب جميعــا فى ملــكة التصوير •

٤ ــ وازن بين الكــاتب والمنشىء ، ورأى أن الكــاتب يتميــز على المنشىء بأن لــه نفســاً شــاعرة مدركــة ، وأن آثــاره لــو ترجمت الى لغــة أخــرى أو صيغت فى غــير بلاغتها الأولى لا تفقد قوتهــا وحيويتها ، وليس كــذلك المنشىء •

ثــم صــدر لــه بعــد ذلك عــدة كتب فى الأدب والنقــد منهـــا :

١ ــ ســاعات بين الكتب • ٢ ــ ابن الــرومى •

٣ ــ شــعراء مصــر وبيئاتهم فى الجيــل المــاضى •

كمــا أنــه كتب عــدة مقــالات فى الصــحف المختلفة ، وقــد أعــاد فيهــا الكثــير من آرائــه النقــدية السابقة وعــاد فى بعضها عن آراء ســابقة لــه ، كرجــوعه عن رأيــه فى الدعــوة للشــعر المرســل ، وإيمــانه بأن ســليقة الشــعر العــربى تنفـــر من الغــاء القافية كــل الالغــاء •

أمــا المــازنى فأهــم مؤلفــاته التى بث فيهــا آراءه النقدية فهــى :

١ ــ ما كتبــه عن ابن الرومى فى مجــلة البيــان بين ســنتى ١٩١٣ و ١٩١٤ ثــم نشــره بعــد ذلك فى كتابه « حصاد الهشيم » •

٢ ــ (شــعر حــافظ) أصــدره ســنة ١٩١٥ ، وهــو يضم مقــالاته فى صحيفة عــكاظ وغيرهــا •

٣ ــ (الشــعر : غــاياته ووسائطه) ١٩١٥ •

٤ ــ مقــدمة الجــزء الثــانى من ديوانــه أصــدره ســنة ١٩١٧ •

٥ ــ (فلسفة الشــعر والنقــد الأدبى) مخطــوط •

٦ ، ٧ ، ٨ ــ قبض الريــح ، خيــوط العنكبوت ، بشــار •

وفى المؤلفــات الأخــيرة يتراجــع عن كثــير من آرائه النقدية الســابقة •

خلاصــة مقاييس النقــد عند المــازنى :

أولا : أن الدراســة الأدبيــة تقتضى أن تدرس بيئــة الأديب للوقــوف منــه على نواحى حيــاته المختلفة ، وعلى النــاقد أن يعتمــد فى ذلك على التحليــل النفسى ، وأن يستعين بعــلم وظائف الأعضــاء ، وأن يكــون منصــفا فى حكمــه محتــاطا مستقصيا ولا يفــوته أن مختــارات الشــاعر أو غــيره من الأدبــاء لا تعطى صــورة صــادقة عن صاحبها ، كمــا أن الاختيــار يــدل عــلى عقــل من يقــوم بــه أيضــا •

ثانيـا : لا يمكن أن يكـون النقـد موضوعيا محضـاً ، بـل لابـد أن يكـون ذاتيـاً كـذلك ، ويجب ألا يستهدف التقـريظ والمـدح ، بـل يستهدف التمحيص وتمييـز الجيـد من الردىء ، وأن ينظـر فيـه النـاقد للأثـر الأدبى لعمـل فنى تـام قـائم على فـكرة معينـة .

ثالثـا : على أولئـك الذين يكتبـون تاريخ حياتهم بأنفسـهم أن يجعـل الواحـد منهـم همـه شـرح أدوار نمـوه العقـلى والخلقى .

رابعـا : أن سـمو الأدب هـو فى قـدرته على تصوير حركات الحيـاة والعاطفة المعقدة ورسـم الانفعالات والأحاسيس ، وتصوير الجمـال وتوضيح أثرهـا فى الأديب ، على أن تكـون الفكرة التى يصـورها الأديب سامية صحيحة عميقـة فالأدب لا ينافى الفلسفة ، ولا ينـافى الغـوص على أسـرار الحيـاة .

خامسا : إن الشاعرية خـالدة ، وأن الشـعر لا يزال يجيش بالصـدر حتى يجـد مخرجـا وهـو فى أصـله لغـة العاطفـة لا العقـل ، وليسـت غايتـه القصـوى هى ادخـال اللذة عـلى القـلوب وامتـاع النفـوس ؛ بـل ليس محـض أحـلام ، أو تصـويرا لقشـور الأشـياء وظواهرها ، ولكن لـه قيمته السامية

كتصـــوير حيـــاة الفـــرد ، وتصـــوير الحيـــاة الاجتماعية للأمـــة واعتبـــاره صـــورة وســـجلا لذلك جميعـــه •

سادسا : لـــكل من الشـــاعر والمصـــور سبيله الخـــاص فى الأداء ، فهـــذا سبيله قلمـــه وهـــذا ســـبيله ريشـــته •

سابعا : يجب أن يتصـــف الأديب بصـــدق النظـــر وســـلامة الذوق وخفـــة الـــروح ، وحـــلاوة الفكاهة ، وذكـــاء المشـــاعر ، وصـــفاء السريرة وعـــلو النفس ، ويجب أن يتصـــف كذلك بالقدرة على استظهار الألفـــاظ وبالفطنـــة لمفـــاتن الطبيعـــة وجلالة النفس الانسانية والعلاقة بينهمـــا ، كمـــا يتصـــف بجمـــال الحق والفضيلة وألا يكـــون مسوقا ببـــاعث مستقل عن نفســـه ، وأن تكون نظـــرته شـــاملة •

ثامنـــا : إن الأدب الجيـــد يظـــل جيـــدا ان ترجـــم الى لغـــة أخـــرى غـــير لغتـــه وكـــذلك الغـــث يظـــل غثـــاً ، الا أن ترجمة الشـــعر الغـــربى للغـــة العربية صـــعبة وتحتـــاج لنـــوع خـــاص من البحـــور ، كمـــا تحتـــاج للتحـــرر من القافية ، وينبغى أن تكون هـــذه الترجمـــة شـــعرا ونثـــرا معـــاً ، مع ملاحظـــة أن التصرف فى الترجمـــة يحمـــد أكثـــر من الدقـــة فيهـــا إن أضفى المترجـــم عليهـــا فلسفة للحيـــاة والأحيـــاء •

تأثـر جمـاعة الديوان بنظرية الجمـال عند الغربيين :

يرجـع الفضـل فى أحـكام الصـلة بين الجمـال والصورة العـامة للعمـل الفنى وفى التفـريق بين الجمـال الفنى والغـاية الاجتماعية أو الخلقيـة الى الفيلسوفين (كـانت ، وهيجـل) وكلاهما سـابق على المدرسـة الرومانسية والبرناسية .

وقبلهمـا كـان « بوماجارتن (١٧٠٤ — ١٧٦٢) هـو أول من استخدم كلمـة (استاتايقا) عـلم الجمـال بمعناها الحديث ، ومنـذ ذلك أصـبح تعـريف الكلمـة هـو « معـرفة الجمـال فى الطبيعة والفـن ، وخـواص هـذا الجمـال وحالاته ، ومـدى مطابقته للقـانون » (٣١) .

وإذا كـان بوماجارتن قـد مهـد للباحثين الطـريق للتوغل فى معـرفة عـلاقة الجمـال بالأعمـال الفنيـة فـإن كـانت (١٧٢٤ — ١٨٠٤) معـاصره تقريبا يوضـح هـذه العـلاقة بجلاء ، فـيرى أن العمـل الفنى ذو خصائص جوهرية بهـا تتوافر لـه صـفة الجمـال ، وأن جمـاله المحض لا يتمثـل فى سـوى شـكله أى صـورته العـامة ، ويتجـلى هـذا الجمـال المحض فى الصور التى يختفى منهـا كـل مضمون كالنقوش والزخارف وأوراق الزينة ،

---

(٣١) ص ٥٥ : المدخـل فى النقـد الادبى . نجيب أندراوس .

وهى أشـــكال لا معنى لهـــا فى نفسها ، كمـــا يتجـــلى كـــذلك فى الموسيقى غـــير المصحوبة بغنـــاء ، وعند (كـــانت) أن الحـــكم الجمـــال يمتـــاز بخصائص تفـــرق ما بينـــه وبين الحـــكم العقلى والخـــلقى •

أولى هـــذه الخصائص ، تتعـــلق من حيث صفته ومصـــدره ، فهـــو حـــكم صـــادر عن الذوق ، والذوق يصـــدره عن رضـــا لا تدفـــع إليـــه منفعـــة ، أى أن المتعـــة الفنيـــة لا تهتـــم بقيمـــة موضوعها وتحقيقه • بخـــلاف اللـــذة الحســـية التى تتطلب التملك ، وبخـــلاف الرضـــا الخلقى الذى يرـــد تحقيق موضوعه ، فالرسام يعجب بفاكهـــة أو بصورتها ، ولكنـــه لا يشتهى أكلهـــا أو بيعهـــا بوصـــفه فنـــاناً •

وثانى خصائص الحـــكم الجمـــالى عند (كـــانت) يتعلق بـــه من حيث الـــكم والعمـــوم • فالجميـــل هـــــو الذى يروق كـــل النـــاس ، دون حاجـــة الى أفـــكار عـــامة مجـــردة • وذلك أنـــه لا ســـبيل لنـــا الى معرفة شىء عـــام دون أفـــكار تجريدية بهـــا نستطيع تقويمـــه والتدايـــل عليـــه ، الا الجمـــال ، فإننا نستطيع أن ندركـــه وهـــو محسوس ، ونقـــومه على هـــذه الحـــال تقويما عـــاماً مشتركا بين النـــاس ، دون حاجـــة الى أفـــكار مجـــردة ، فيهـــم من يخـــالف المجمـــوع ولكنـــه شـــذوذ يؤكـــد القـــاعدة •

وهـذا الحـكم يفترض اشتراك ذوى الأذواق فيـه ، وقـد يشـذ

وثالث هـذه الخصائص من حيث العـلاقة ، أى علاقة الوسيلة بالغـاية ، وهى أهـم خاصة فى موضوعنا ، فالجمـال هـو الصورة الغائية لموضوعه ، من حيث أنـه مدرك فى ذلك الموضـوع ، دون التصـور لغـاية أخـرى من الغـايات ، فـكل شىء لـه غـاية تدرك أو يظـن وجودهـا ، ولكنـا أمـام الجمـال نحس بمتعـة تكفينـا السـؤال عن الغـاية منـه ، بحيث لـو وجـد عـالم ليس فيـه سـوى الجمـال ، كـان غـاية فى ذاتـه ، وقـد نظـن أن هنـاك غـاية من الغايات للجمال فى الطبيعة ، ولكنـا لا نستطيع تحديدهـا .

فمثـلا إذا فـكر عـالم النبـات أو التاجـر أو الـزارع فى وظيفـة فاكهـة فى انتاجهـا النوعى أو فى قيمتهـا التجارية ، فـإنه حينئذ لا يفـكر فى قيمتها الجمالية وعلى الفنـان ـ لكى يتوافر لـه الذوق اجمـالى ـ أن يعجب بالشىء الجميـل دون أن يلقى بـالا لمثـل هـذه الغـايات ، فـلا يحتفظ فى نفسـه الا بالشعور غـير المحـدد بأن هنـاك غـاية للجمـال فى الطبيعة ، دون مضـمون محسوس لتلك الغـاية ، وهـذا هـو ما يسـميه (كـانت) : (الغـائية بدون غـاية) فى الشىء الجميـل .

ورابـع هـذه الخصائص : يتعـلق بالحـكم الجمـالى من

حيث الذاتيـــة والموضوعية ، ذلك أن الحـــكم بعـــامة . لـــه ثلاث حـــالات : امـــا أن يكـــون تصـــويرا لحقيقة عن طريق التجـــربة ، أو برهنـــة نظـــرية على قضـــية علميـــة يســـلم بهـــا ضرورة ، أو مجـــرد احتمـــال منطقى ، الا انجمال فـــإن خاصته تقـــرير ما يدرك ضـــرورة إدراكـــاً ذاتيـــا ابتـــداء ، ولكنـــه موضوعى من ناحيـــة التصـــور ، بافتراض عمـــوم الشعور بـــه لـــدى ذوى الأذواق ، فالجميـــل هـــو ما يعتـــرف لـــه بهـــذه الصـــفة ، لأنـــه مصـــدر شـــعور ذاتى بالرضـــا بـــه ، دون حاجـــة الى أفـــكار وأقيســـة يتطلبهـــا الحـــكم الموضوعى ، فـــإذا حكمت بأن هـــذه الأقيســـة جميـــلة ، فليس ذلك نتيجـــة قيـــاس حتمى منطقى ، أو نتيجة تجربة كمـــا هى الحـــال فى الطبيعيات والرياضيات مثـــلا ، وانمـــا ذلك نتيجـــة لحـــكم ذاتى فـــردى ، وكـــأنه أمـــر صـــادر عن وعينـــا للضمير الجمـــالى تشـــبه معصيتنا لضميرنا الخلقى فيمـــا لـــو خالفنا الجمـــالى ، فـــإذا حكمنـــا بمـــا يخالفـــه ، كـــان فى ذلك معصـــية واجبـــا خلقيـــاً .

فالجميـــل موضوعه متعـــة لا غـــاية لهـــا ، ولا عـــلاقة لهـــا بالمنفعة المحسوسة ، كمـــا هـــو الشأن فى الشىء اللذيذ ، ولا بالمصلحة االخلقيـــة ، كمـــا هـــو الشـــأن فى الخـــير ، وتلك المتعـــة أساس حـــكم ذاتى ابتـــداء ، ولكنـــه موضوعى علمى نتيجـــة ، وهـــذه

المتعـة لا تستجيب الى حاجـة من حاجاتنـا المـادية ، كمـا أن هـذه العالمية فى الحـكم الجمـالى لا تسـتند الى قاعدة ، وحـكم الخيـال المبنى على الذوق يوازى حـكم العقـل فى المدركات العقلية من ناحيـة الوصـول الى مدركـات جمالية عـامة تشـبه المدركات المنطقيـة فى عمومهـا ، ولكن بدون حاجـة الى أدلـة وحجـج • ولـذا كـان الحـكم الجمـالى عـاماً عالميـاً ، على الرغـم من أنـه غـير موضوعى فى منشـئه لأن مصـدره عـلاقة الأشـياء بحواسنا ، وفى طبيعـة حواسـنا أسـاس لهـذه العلاقات ، ولمـا يتسبب عنهـا من متعـة ، فالفـن عند (كانت) مسـلاة حـرة يمـارس فيهـا الخيـال مهنتـه دون قيـد ، فى نشـاط يشـبه اللعب ودون غـاية ، لأنـه غايته فى نفسـه ، وقـد أراد (كانت) أن يحـرر الفـن من القيـود التى قـد تفـرض عليـه من خارجه باسـم المنفعـة الاجتماعية أو الغـاية الخلقية ، وذلك كى يتوافـر للفـن استقلاله الذى لا يزدهـر الا بـه ، ولا ازدهـار للفـن الا بتوافـر خصائصه الفنيـة الجماليـة التى لا عـلاقة لهـا فى ذاتهـا بجمـال المضمون أو قيمـه ، بـل علاقتها مقصـورة على جمـال الصـور الفنيـة التى يصوغها الشـاعر شـعرا ، كمـا يصوغها المثـال أو الرسـام فى التماثيـل أو الأشـكال المحكمـة الصـنع •

ويعـد الفيلسوف الألمـانى « هيجـل » (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) امتـدادا لفلسفة (كـانت) من جهـة العنـاية بالشكل الجمـالى ومعادلته بالمضمون ، وهى الناحية التى تهمنـا هنـا • وعند هيجـل أن فـكرة الجمـال مـرت بثلاث مراحـل تشـرح أطـوار الفـن الثلاثـة •

١ ـ ففى المرحلة الأولى كانت السيطرة للمـادة على الفكرة ، للصـورة على المضمون ، ولـذا كـان الجمـال يتمثـل فى الأشياء الكبـيرة التى تبعث على الرغبـة لضخامتها ، وتتمثـل فى الفـن الشـرقى والمصـرى القـديم كالمعـابد والقبـور ، ويسـمى (هيجـل) هـذه المرحـلة : (المرحـلة الرمـزية) •

٢ ـ والمرحـلة الثانيـة يسميها (هيجـل) : (المرحـلة الكلاسيكية) وتتمثـل فى الفـن اليونانى ، وفيهـا يتعادل المضمون والشـكل ، ونصـادف الفـكرة حينئذ أتـم تعبـير عنهـا وهى مرحـلة الكمـال الفنى التى لـن يصـل إليهـا الفـن فى المستقبل فيمـا يـرى هيجـل •

٣ ـ والمرحـلة الثالثـة : هى مرحـلة سـيطرة المسيحية ، ويسميها « هيجـل » « المرحلة الرومانتيكية » وفيهـا تغلبت الفكرة على الصـورة ، واختـل التعـادل بين المضمون والشـكل فضعفت

الخصائص الجمالية ، وإذا كانت هندسة البناء تمثل المرحلة الأولى ، وفن النحت يمثل الثانية ، فان فنون العصر الحديث فكرية ذهنية ، من موسيقا وشعر ، وهى تمثل مطالب الإنسان الحديث الذهنية ، ومواطن حنيفة ، وفى هذا ضعف الشكل ليخلى مكانا للمضمون الدينى أو الفلسفى ، فضعف الفن ، ولن يعود للفن شكله الكامل الذى كان

١ — يؤيد ما جاء فيه من دعوة ملى شعر الحياة له فى عصر الإغريق ، فيما يرى (هيجل) ، وفى هذا عنى (هيجل) بفلسفة الشكل أو الصورة الكلية للعمل الفنى ، واعتبر طغيان المضمون عليه مدعاة ضعف جمالى ، كما كان أول من أقام الدعاية لكمال الفن الاغريقى على أساس فلسفى (٣٢) .

فلا شأن للتناسب فى جوهر الجمال ، وإنما هو تبع لحرية الوظيفة وحركة الحياة فى الجسم ، وكأن الانسان قد أراد بالفن أن يتم حرية الحياة ، وقد خلق الفن للانسان أجنحة قبل أن يطير فى الهواء ، وأنشأ لنا

---

(٣٢) ص ٩١ وما بعدها : دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده . محمد غنيمى هلال .

فى الشعر أجيـالا من الأبطـال هـرموا نواميس الكون ، وجمـع فى جسـم واحـد من رشـاقة الأعضـاء ؛ وبلاغـة القسـيمات ما تضـن بـه الحيـاة على الكثـير من الأجـل وأرسـل أحلامنا فى سماوات من الغبطـة والكمـال » (٣٣) .

وكمـا يفهـم العقـاد الجمـال على أنـه تغلب الحـرية على الضـرورة فهـو فى مجـال التطبيق يشـترل الصـدق الفنى الذى يفـرق بين إنسـان وإنسـان وموضـوع وموضـوع ، وفى الوقت نفسـه يكـون جمـالا مطابقا للحـق الذى لابـد أن يحالق الحق المحـدود .

وهـو كـأى رومانسى يعتمـد الذوق الى أبعـد غـاية ، ويدرجـه فى قسمين ذوق خـالق ، ويسميه الذوق النـادر ، وترجع قيمتـه الى أنـه ينقـل احسـاس الأديب بالشىء العـادى الى المتلقين بحيث يظهـره كمـا لـو كـان جـديدا ، وذلك لمـا أودعه فيـه من مشـاعره .

وأمـا الذوق الثـانى : فهـو التذوق نفسـه ، أو القـدرة على مجـرد الحـكم ، وإذا كـان أو كانت من المستوى الذى يطمئن إليـه فى مجـال النقـد ، تحقق الأثـر المنشـود بشرط ألا يتحول العمـل إنشـاء كـان أو نقـدا الى لاشىء ، لأن التأثرية التى تكتفى

---

(٣٣) ص ٢٥٠ : فصول من النقـد عند العقـاد . خليفة التونسى .

بتحديد أثر العمل فى النفس بلا مقاييس محددة هوس وثرثرة لا غناء فيهما قط .

ثم تدرج العقاد فى دعوته تلك من الإحساس بالجمال والفنون بصفة عامة الى الاحساس بالجمال الشعرى ، وللنظر الى العمل الفنى على أنه وحدة متكاملة ولا انفصام بين الشكل والمضمون ، يقول : إن القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنياً تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقى بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة ، أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها .

فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغنى عنه غيره فى موضعه ، إلا كما تغنى الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف ، أو القلب عن المعدة ، أو هى كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ، ولا قوام لفن بغير ذلك .

ويقول العقاد فى كتابه (خلاصة اليومية) :

بأن الجميل كل ما حبب الحياة الى النفس وأبدى منها الرجاء فيها ، وبعث على الاغتباط بها كالربيع والصباح والشباب والمناظر الرائعة ... على أن إدراك الجمال ينبغى

لـه تهـذيب فى النفس ، ودقـة فى الذوق ، لا تكتسبان إلا مـع العـلم ومعانيـه ثمـرات الفنـون . ذلك الى استقامة الفطـرة وسـلامة الطبـع •

ويقـول : إن جمـال المعـانى لا يسـتمد من الألفـاظ المنمقة أو الأخيـلة المستعارة المتكلفـة ، ولكن جمالهـا فى ذاتهـا ، وفى أدائهـا لوظيفتها ، وفيمـا تلـزم بـه طبيعتهـا •

مصـادر ومراجـع البحـث :

١ ــ الأدب وفنـونه ، عـز الدين اسماعيل •

٢ ــ مذاهب النقـد وقضـاياه ، عبد الرحمن عثمـان •

٣ ــ نشـأة النقـد الأدبى الحـديث ، عـز الدين الأميـن •

٤ ــ دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده ، غنيمى هلال •

٥ ــ فصـول من النقـد عند العقـاد ، خليفـة التونسى •

٦ ــ المدخـل فى النقـد الأدبى ، نجيب أندراوس •

٧ ــ ماهـو الأدب •